

٨



عباقرة المسلمين في الطب للأطفال

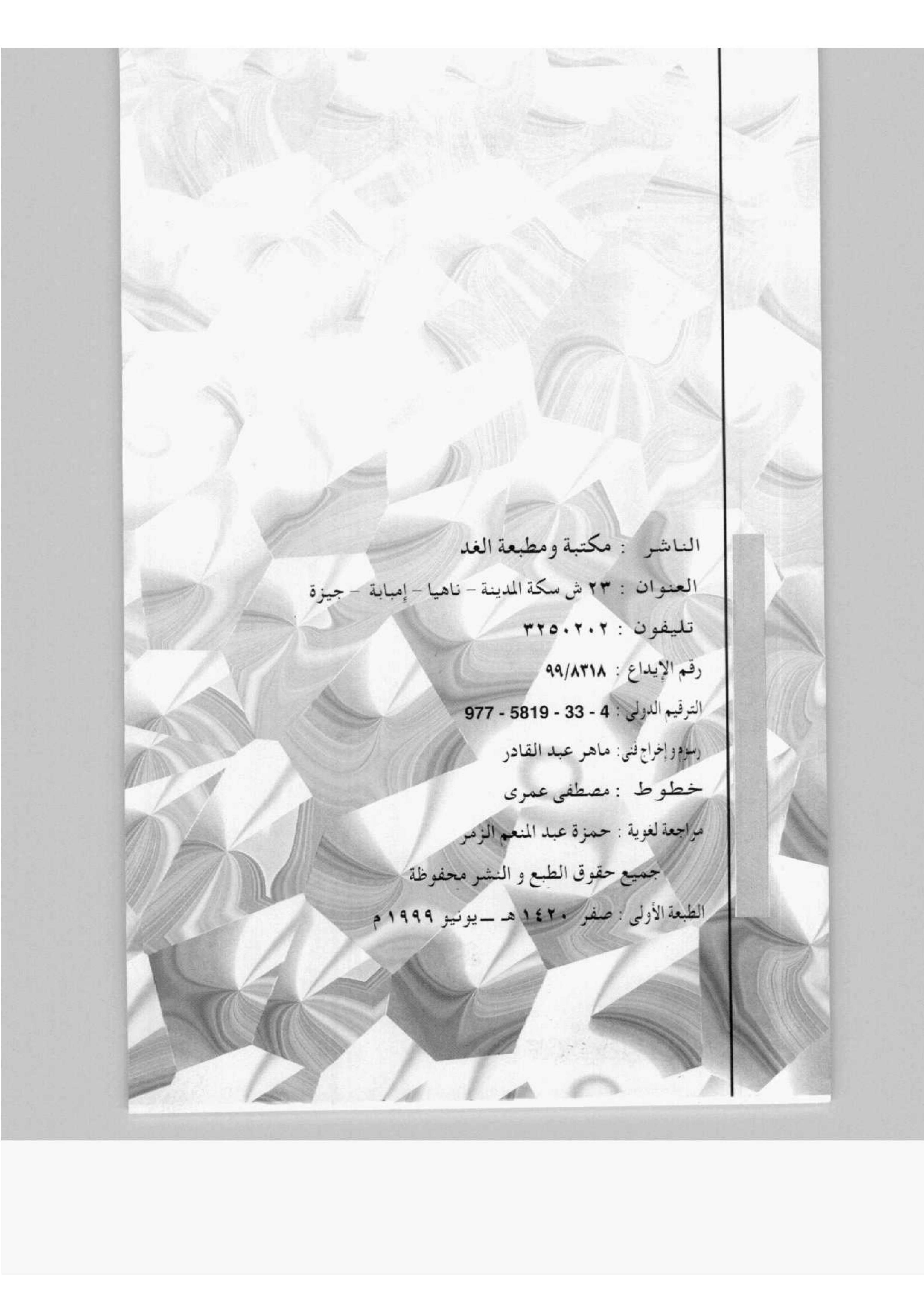
# أبو بكر الحفيد



تأليف
فوزي خضر

المادة العلمية
نظير عبد الجابر

رسوم
ماهر عبد القادر




الناشر : مكتبة ومطبعة الغد

العنوان : ٢٣ ش سكة المدينة - ناهيا - إمبابة - جيزة

تليفون : ٣٢٥٠٢٠٢

رقم الإيداع : ٩٩/٨٣١٨

الترقيم الدولي : 4 - 33 - 5819 - 977

رسوم و إخراج فني: ماهر عبد القادر

خطوط : مصطفى عمرى

مراجعة لغوية : حمزة عبد المنعم الزمر





الطبعة الأولى : صفر ١٤٢٠ هـ ـ يونيو ١٩٩٩ م

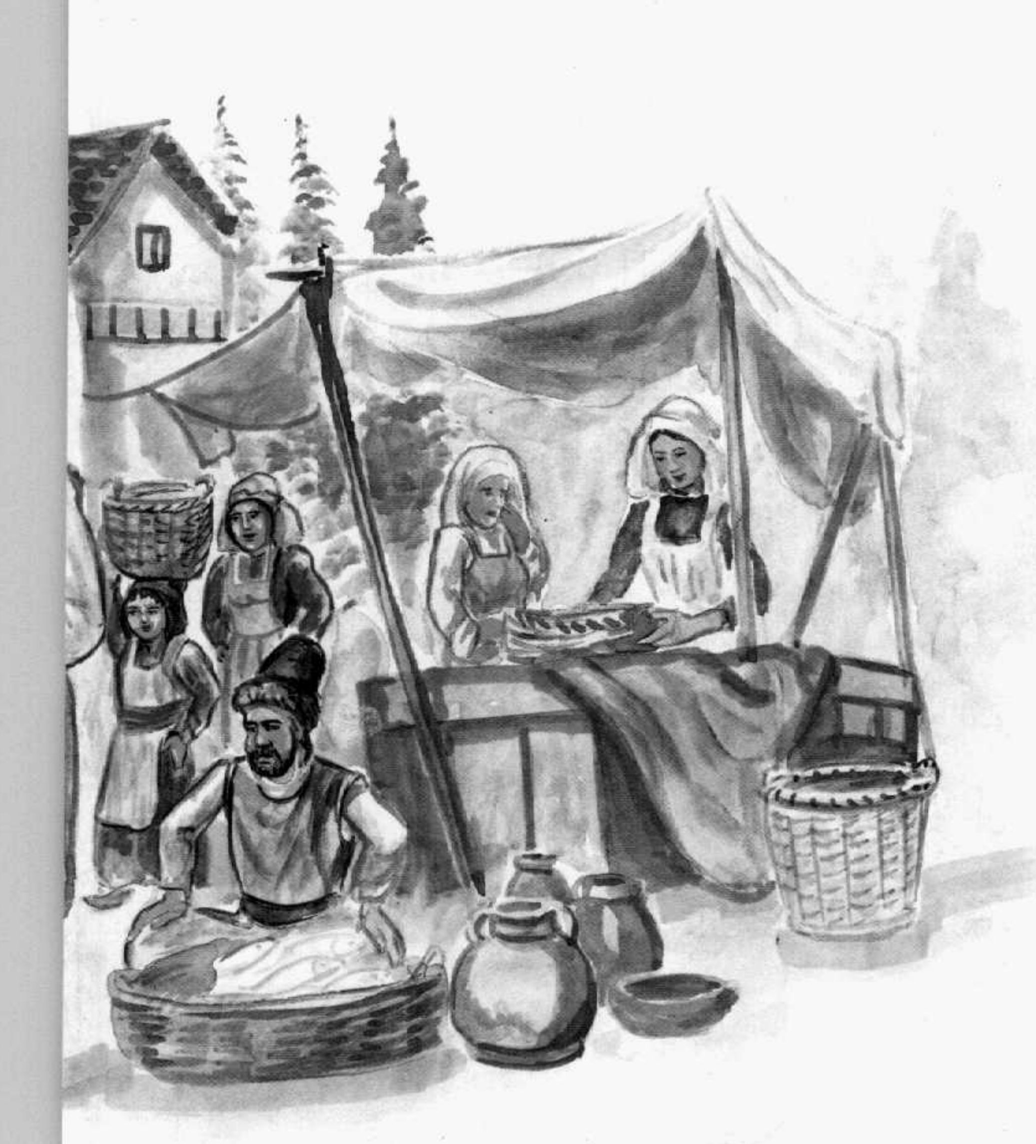


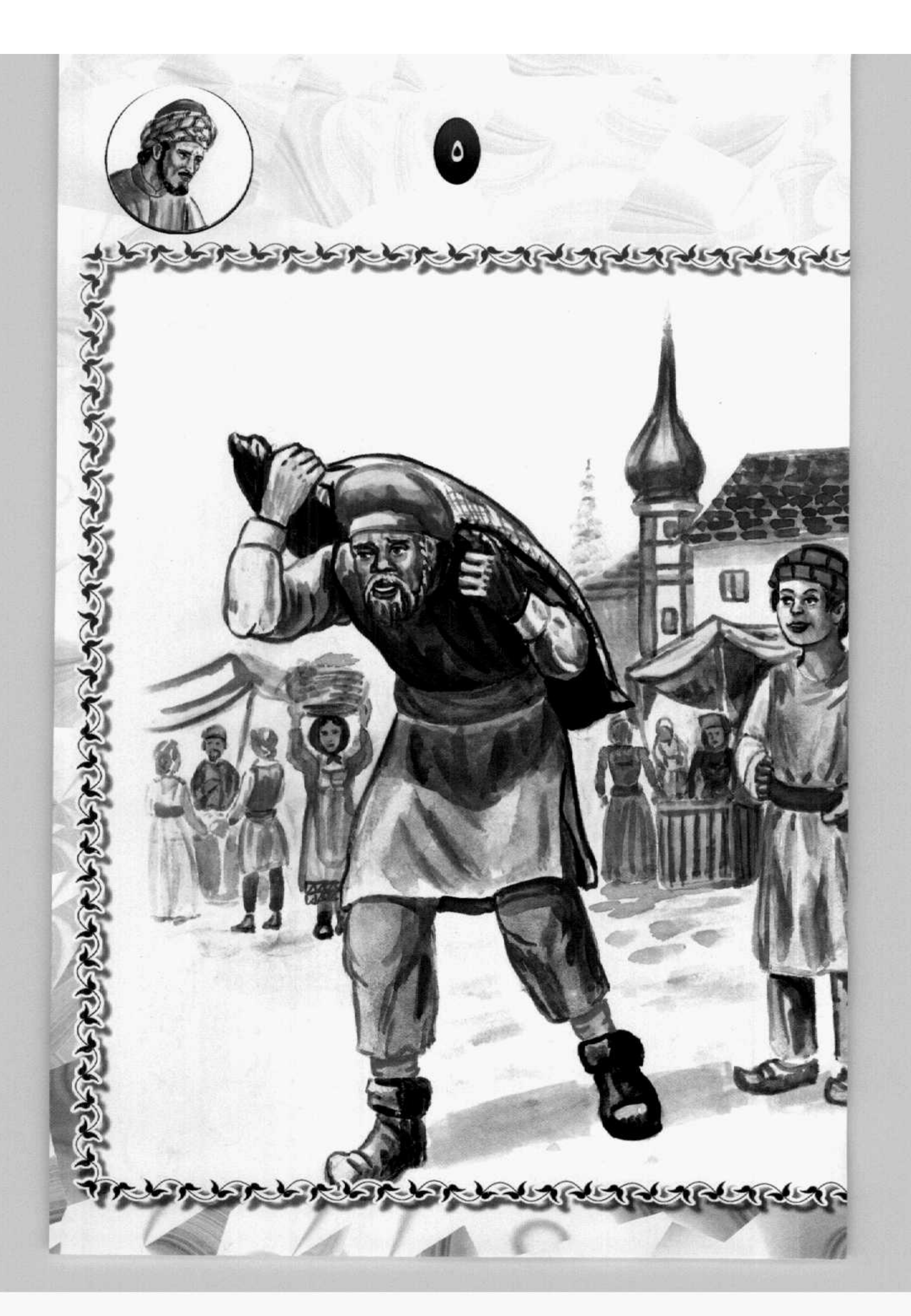
# بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كانَ الْعَرَبُ يسمُّونَ أَوْلادَهم فَيَقُولُونَ : أبو فلان ، مثلاً أُبو بكرٍ مُحَمَّدٌ ، أوْ أبو عليٍّ حسنٌ ، أَوْ أبو عُمَرَ عَبْدُ الله . . . وهكذا ، وكانت ( أبو فلان ) هِيَ الكُنْيَةُ ، يُسَمَّى بها الولدُ حتى قَبْلَ أَنْ يَتزَوَّجَ ويُنْجِبَ ، والعالِمُ الذى تَتحدَّثُ عنه هُوَ أَبُو بكرٍ محمدُ بْنُ أبى مروانَ عَبْدُ الملكِ بْنُ زُهْرٍ الحفيدُ ، كُنْيَتُهُ أبو بكر ، واسمه محمدٌ ، ولَقَبُهُ الحفيدُ .

جلس الْفَتَى أبو بكر محمد الحفيدُ يَنْظُرُ إلى والده وهو يَكْشِفُ على مريضٍ يَتَأَلَّمُ أَلَماً شديداً ، وأَيْقَنَ أبو بكر أَنَّ ذلك المريضَ لَنْ يُشْفَى بِسَبَبِ ما يَرَاهُ من شدَّةِ أَلَمِه ، لكنَّه بعد أُسبوعٍ واحدٍ رَأَى نَفْسَ المريضِ يَحْمِلُ جوَالاً ثَقِيلاً ، ويُسْرِعُ الْخُطَى فى أحدِ شوارعِ مدينةِ ( إِشْبِيلِيَّةَ ) ببلادِ الأندلسِ .





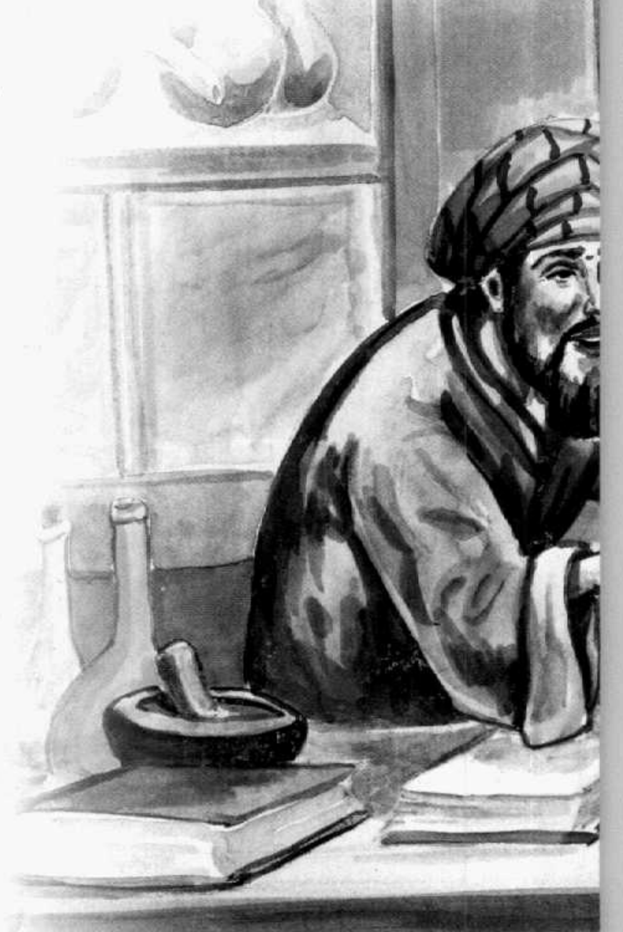




تَعَجَّبَ أبو بكرٍ . . . وعلم أنَّ لمعرفة الطب قِيمَةٌ عُظْمَى ، لذلك جَلَس يَسْتمعُ بِاهْتِمَامٍ إلى دُرُوسِ أبِيهِ فى الطب التى يُلْقيهَا على مسامعِهِ ، فأضافَ علمَ الطِّبِّ إلى ما دَرَسَهُ من عُلُوم أُخْرَى .



كان أبو بكر الحفيدُ مَشْهوراً بِأَدَبِهِ الرفيعِ ، وذلك راجعٌ إلى تَرْبِيَتِه الدينيَّة ، فقد حَفِظَ القرآنَ الكريمَ كُلَّهُ فى سِنٍّ مُبَكِّرَة ، واهتَمَّ بدراسةِ الحديثِ النَّبوىِّ الشّريف اهتماماً بالغاً ، ونَبَغَ فى علومِ اللُّغَةِ وفى الشِّعرِ ، وأضاف الطِّبَّ إلى كل ذلك .



عُرِفَ أبو بكر بصفته عالماً فى الحديث النبوىِّ الشريف ، وعُرِفَ بصفته شاعراً مجيداً ، وعُرِفَ أيضاً بصفته طبيباً بارعاً.

ولأبى بكرِ الحفيدِ مُوَشّحَاتٌ عُرِفَتْ باسمه ، والموَشّحُ نَوْعٌ من أنواعِ الشعْرِ ، له بِناءٌ مخصوصٌ ، ويَمْتَازُ بكثرة القَوَافِى التى تُعطيهِ جمالاً ، ومن مُوَشّحَاتِ أبى بكرِ مُوَشّحٌ مشهورٌ ، كان يَتَغَنَّى به



المطربُون والمطرباتُ .

وكان من العلماءِ الْمُغْرَمِينَ بِلُعْبَةِ ( الشِّطْرَنْجِ ) ، يَقْضِى وَقْتَ فَرَاغه فى اللّعب بها مَعَ زُملائه ، وهى مِنَ الأَلْعَابِ التى تُنَشِّطُ الْعَقْلَ ، وتُتِيحُ لَهُ فُرْصَةَ مُزَاوَلَةِ التَّفْكِيرِ بِعُمْقٍ .







بَرَعَ فى علم الطب ، فكان هو أشْهَرُ الأطباءِ بعد وفاة والده. وقد ذُكِرَ فى أَضْخَمِ كتابٍ فى تاريخ الطب والأطباء ، هو كتاب : « عُيونُ الأنْباء فى طبقات الأطباء » الذى ألّفه الطبيبُ ابْنُ أبى أُصَيْبِعَةَ ، وَذَكَرَ فيه الإنْجازاتِ الطبيَّةَ فى الدُّنيا مُنْذُ أنْ نَشأَ عِلْمُ الطب فى قديم الزمانِ ، كما ذَكَرَ فيه أشْهَرَ من مارسوا مِهْنَةَ الطب ، فقال عن أبى بكر :

كان أبو بكر محمد بْنُ زُهْرِ الحفيدُ ملازماً للأُمورِ الشرعيَّة مَتينَ الدينِ ، قَوِىَّ النَّفْسِ ، مُحِباً للخير ، وكان مَهيباً ، وله جُرْأَةٌ فى الكلام ، ولَمْ يكُنْ فى زمانه أعْلَمُ منه بصناعة الطب، وذِكْرُهُ قد شاع واشتهر فى أقطارِ الأَنْدلسِ وغَيْرِها من البلاد .

هكذا امْتَدَّتْ شُهْرَةُ أبى بكرِ الحفيدِ إلى كثيرٍ من البلاد ، لبراعته الفائقةِ فى مداواةِ المرضَى ورعايَتِهم وحُسْنِ معاملته لهم، وقدَّرَهُ الناس فى سائرِ الأرْجَاءِ لما يَتَمَتَّعُ به من تَمكُّنٍ تامٍّ من العلوم الطبيَّة ، وتفانيه فى خدمة المرضَى ، وزَادَ تَقْديرُ النَّاس له وأَحَبُّوهُ كثيراً بسبب ما عُرِفَ عنه من حبِّهِ لعمل الخير .

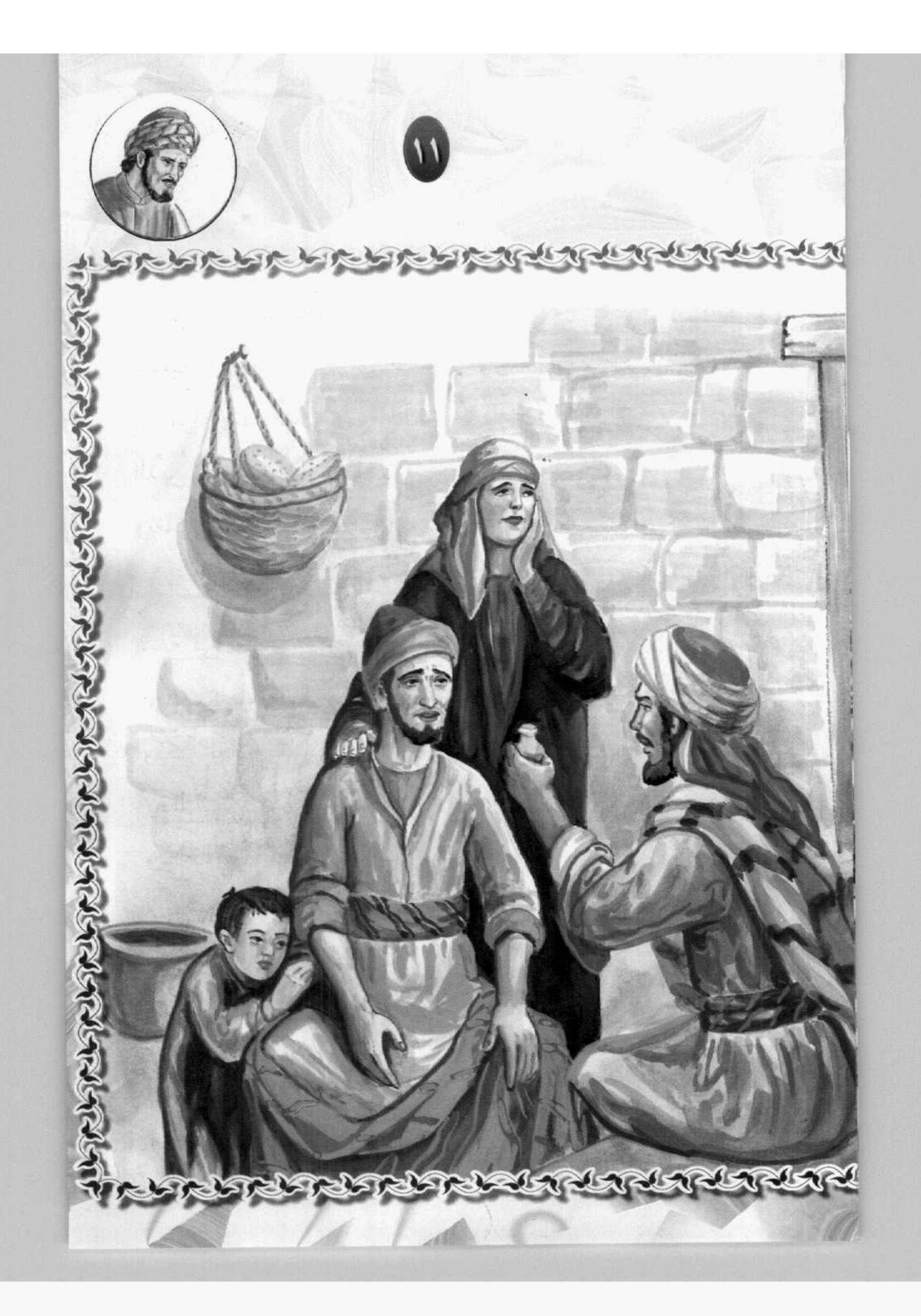






لَمْ يكُنْ يَجلِسُ فى داره
يَنْتَظِرُ أنْ يَجِيءَ الْمُحْتَاجُونَ
إلَيْهِ كَىْ يَخْدِمَهُمْ ، بل كان
يَسْعَى إلَيْهِمْ فَيَتَلَمَّسُ أخْبارَ
الفقراءِ والمحتاجينَ ، كَىْ يُقَدِّمَ
لَهُم الْعَوْنَ والْمَعُونَةَ ،
ويُعْطِيَهِمْ مِمَّا وَهَبَهُ الله - عزَّ
وجلَّ - من مالٍ وعَطاءٍ .

وكان يَبْحَثُ عن الْمَرْضى
الفقراءِ ، الَّذين لا يَقْدِرُون
على دَفْعِ أُجُورِ الأطباء ،
فَيُعَالِجُهُمْ مجَّاناً بنفسٍ راضيةٍ،
ويُعْطِيهِم الدواءَ من عنده دونَ
مقابلٍ ، ويُعَامِلُهم أَحْسَنَ
معاملةٍ .

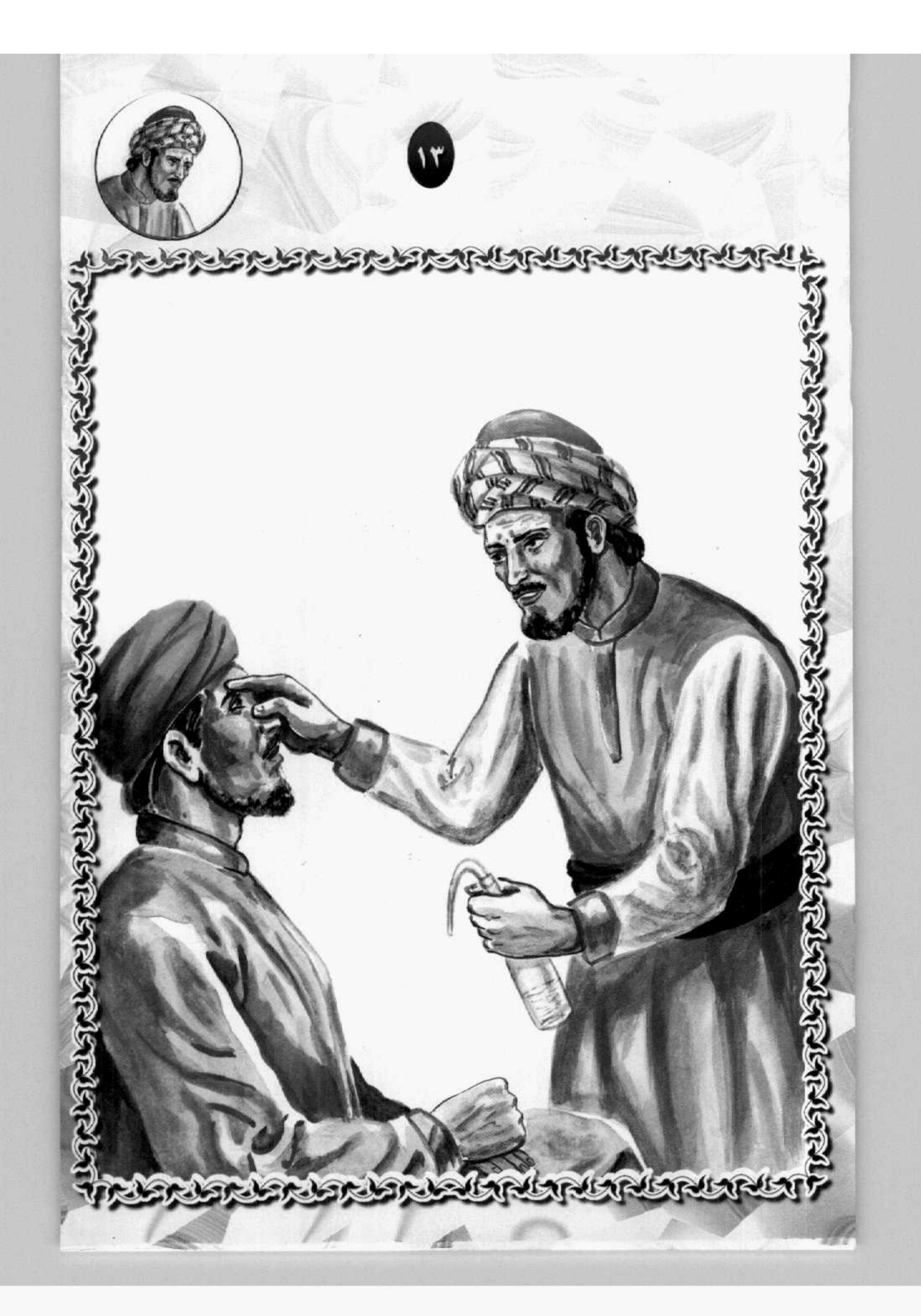


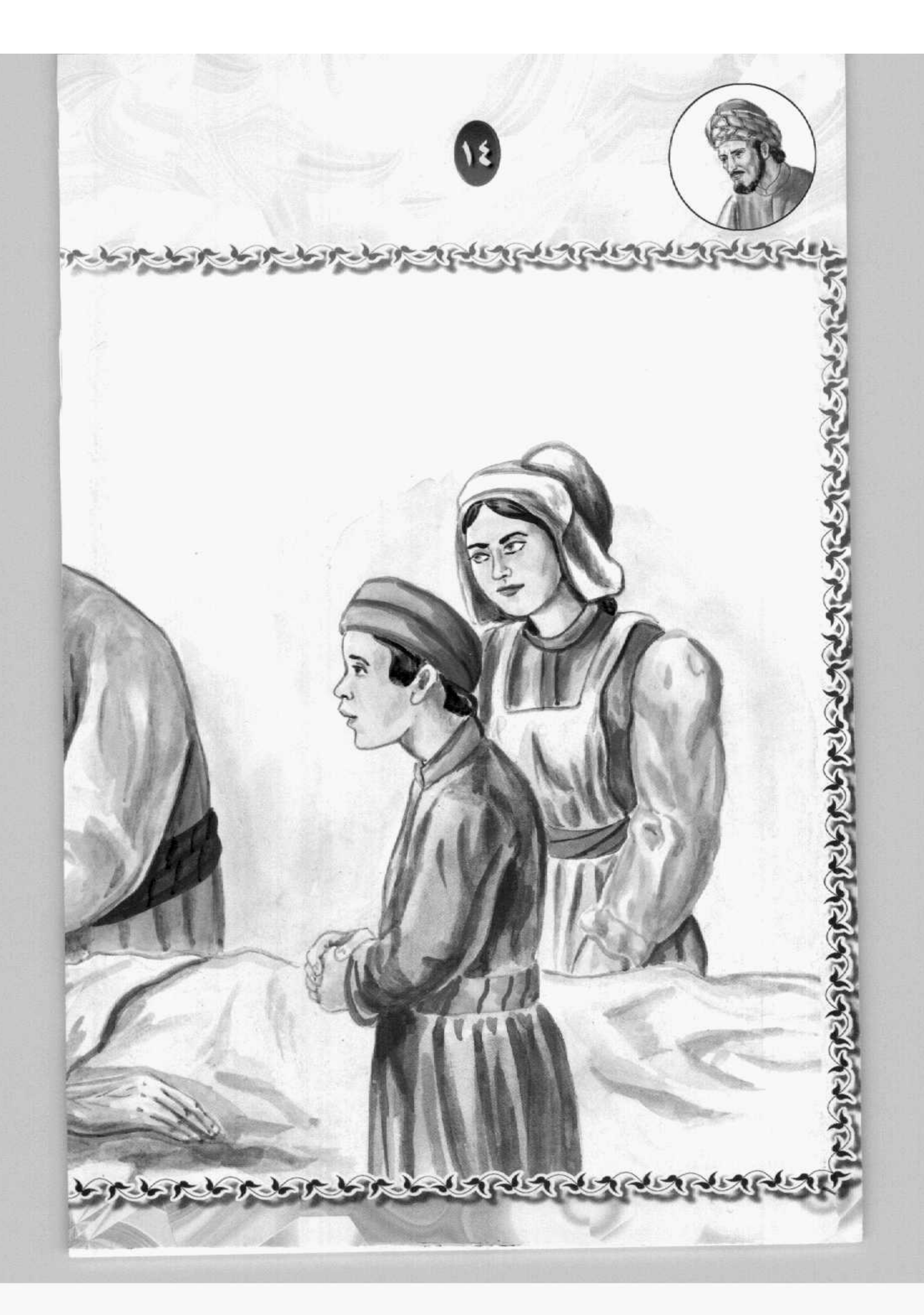


كل هذه الصِّفَات الحميدة وَضَعَتْ أبا بكر الحفيدَ فِى مكانة سَامِيَةٍ فى قلوبِ النَّاسِ ، فقد أدرَكَ أَنَّ مُساعدةَ النَّاسِ ، والفقراء منهم على وجه الخصوصِ من الأمورِ التى أَمَرَنَا بها الدِّينُ الإسلامِىُّ الحنيفُ ، فَاجْتَهَدَ فِى تنفيذِ أوامرِ الله سبحانه وتعالى .

أَلَّفَ أبو بكرٍ الحفيدُ عِدةَ كُتُبٍ فى علم الطبِ ، لَعَلَّ أَهَمَّهَا كِتَابُهُ فى أمراضِ العين ، إذْ أَوْضَحَ فيه كثيراً من الأَمْراضِ التى تُصيبُ العيونَ ، وبيَّنَ كَيْفِيَّةَ تَشْخِيصِ المرضِ وَوَصَفَ ظَوَاهِرَهُ، وَذَكَرَ العِلاجَ المناسِبَ لِكُلِّ مرضٍ من أمراضِها التى تُصيبها ، وَقَد انْتَقَلَ هذا الكتابُ إلى أوروبا فاسْتَفَادَ منه العالَمُ كُلُّهُ ، وساهم فى مُسَاعَدَةَ الأطباء على التغلُّبِ على كثيرٍ من العوائق التى كانت تَحُولُ بَيْنَهُم وَبَيْنَ مُداواةِ بعض الأمراض .

الْتحقَ أبو بكر بالمناصبِ الحكومِيَّةِ لِمَا كان يَتَمَتَّعُ به من صِفَات مُتَعَدِّدَة ، فهو كان طبيباً ماهراً ، وكان فقيهاً مشرِّعاً محنَّكاً ، وكان فَصِيحَ العبارةِ ، بَلِيغَ الكتابَةِ ، أديباً بارعاً ، وشاعراً مُبْدعاً ، وقد وَصَلَ أبو بكر الحفيدُ إلى منصبِ الوزارةِ .









عَالَجَ أبو بكر كثيراً من الأمراض التى تَفَشَّتْ فى عصره ، وبَرَعَ فى هذا، ووصف أدويةً مهمَّةً فى علاج تَقَرُّحَاتِ العيونِ، والتهابِ جُزْءٍ خطيرٍ من العين هو الْقَرَنِيَّةُ ، كما وَصَفَ أدويةً لعلاج قُروحِ الْقَوْلُونِ ، ووَصَفَ دِهَانَات لكثيرٍ من الأمراض الجلديَّة ، وركّب مَرَاهِمَ وعقاقِيرَ طبية انْتَشَرَ استِخْدَامُها من بعده لِعلاج كثيرٍ من الأمراض التى تُصِيبُ الإنسانَ .

وقد أكْمَلَ أبو بكر الحفيدُ رسالته فى مجال الطب إلى أَقْصَى مَدًى ، إذْ علّم أولادَهُ الطب ، فكان وَلَدُهُ أبو محمد عبد الله مُتَفَوِّقاً فى مهنة الطب ، وكانت ابْنَتُهُ من أشْهرِ الطبيبات فى عصرها ، إذ كانت مولِّدةً ماهِرةً ، بجانب قُدْرَتِها على العلاج العام لسائرِ أمْرَاضِ النِّساء ، ومنها أمراضٌ مُسْتَعْصِيةٌ ، وانْتَقَلَتْ مِهْنَةُ الطبِّ إلى أحْفَادِ الحفِيدِ .

وهكَذَا كان أبو بكر الحفيدُ طبيباً بارعاً ، وإنساناً راقياً ، أدَّى رسالتَه الطبيَّةَ حتَّى نِهَايتها على أكْمَلِ وَجْهٍ ، فاسْتَحَقَّ أنْ يُكتَبَ اسْمُه بِحُرُوفٍ مِنْ نُورٍ فى سِجِلِّ الأطبَّاءِ فى العَالَمِ .